تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

حلقات مترابطة من غزّة إلى الخليج... ومن أوكرانيا إلى واشنطن
2024 سنة مفصليّة على وقْع ثلاثة حروب محوريّة

سنة 2024 هي سنة التحولات الكبيرة في المنطقة والعالم. ستكون سنة حافلة بالحروب والاحداث العسكرية والاقتصادية والسياسية، وستبلغ فيها المرحلة الانتقالية نقطة الذروة ومفترق طرق حاسما. هذه المرحلة كانت بدأت نهايات العام 2021 مع الانسحاب الاميركي من افغانستان، واحتدمت بدايات العام 2022 مع تفجر الحرب الروسية ـ الاوكرانية، وما واكبها من تحولات عالمية

من ابرزها التغير الملحوظ في سلوك الصين الاستراتيجي، وصعود تيارات اليمين المتطرف في اوروبا، واشتداد الصراع الدولي على افريقيا. وشهدت انعطافة قوية ومفاجئة في الشرق الاوسط مع تفجر حرب غزة بين اسرائيل وحركة حماس. هذه الحرب التي تعد اقسى الحروب التي خاضتها اسرائيل في تاريخها، وربما تكون اخر الحروب.

رغم تراجعها في ترتيب الاهتمامات والاولويات العالمية الى المرتبة الثانية منذ 7 تشرين الاول الماضي، وانشغال اميركا وعواصم الغرب بما يجري في منطقة الشرق الاوسط، تظل حرب اوكرانيا حدثا عالميا محوريا، ومسرحا مفتوحا على تغييرات لمصلحة روسيا بعدما صار عامل الوقت يلعب في مصلحتها، وطرأ تصدع في الموقف الاميركي - الاوروبي الداعم لاوكرانيا، مما سيؤدي عاجلا ام اجلا الى تفكك شبكة المساعدات الخارجية لاوكرانيا، والى تقويض قوة جيشها وقدرته على مواصلة الحملة العسكرية ضد روسيا.

انقضت اصعب الاوقات، وفقا للكرملين ولتيار واسع داخل روسيا. وبدا ان موسكو تستعد مع حلول العام الجديد لحصد نتائج. بين ابرز توجهات سياسات بوتين في 2024 المحافظة على جمود خرائط الصراع العسكري في اوكرانيا، في حين تستعد البلاد لاستحقاق انتخابي مهم في اذار المقبل. ومع ان نتيجة الانتخابات الرئاسية معروفة سلفا، فان هذا لا يقلل من اهمية الحدث، الذي يكرس بوتين زعيما للامة وسيدا للكرملين مدى الحياة.

يراهن الكرملين على ان جمود الصراع يوفر اساسا مهما لتوسيع الشرخ لدى الغرب، ويضعف اكثر قدرات كييف على المناورة. وتميل التقديرات الى ان عام 2024 سيكون حاسما بالنسبة الى تحديد مصير الحرب التي تحتمل 3 سيناريوهات: اولها ينطلق من ارجحية بقاء حالة المراوحة الميدانية القائمة حاليا، بين هجمات كر وفر محدودة على بعض المحاور الرئيسة للقتال، مع استبعاد اي فرص للتسوية. والثاني، يتمثل في امكان التوصل الى تسوية سياسية تضمن لموسكو الاعتراف من جانب كييف وداعميها الغربيين بالمناطق التي ضمتها الاولى (لوغانسك، ودونيتسك، وزابوروجيا، وخيرسون، فضلا عن شبه جزيرة القرم). اما السيناريو الثالث، فيقوم على احتمالات نجاح احد الطرفين في حسم الصراع نهائيا لمصلحته، وهو ما يبدو متعذرا، ان لم يكن مستحيلا، اذ يجد كل منهما صعوبة في انتزاع السيطرة على اراض واسعة جديدة منذ قرابة العام.

حرب غزة باتت "ام الحروب" في المنطقة والعالم متقدمة على حرب اوكرانيا، لما تحويه من تشعبات وامتدادات اقليمية ودولية،

ولما تختزنه من مضامين دينية وتاريخية واستراتيجية. ستبقى هذه الحرب عنوان العام 2024 الاول، ومحط الانظار ومحور الحركة. كما ستؤدي حكما الى زعزعة اسس النظام الاقليمي، والى تغيير وجه المنطقة وقواعد اللعبة فيها.

ايا تكن الخلافات والانقسامات داخل اسرائيل، داخل حكومة نتنياهو والمجلس الامني المصغر (الكابنيت)، وبين القيادتين السياسية والعسكرية، وبين الحكومة الفاقدة المصداقية والراي العام الفاقد الثقة. الواضح والثابت ان هناك اجماعا اسرائيليا على استمرار الحرب وعدم توقفها الى ان تحقق هدفها، وهو القضاء على حماس وتفكيكها واخراجها من حكم غزة. وهذا الاجماع قائم على فكرة جوهرية محورية: الحرب التي تخوضها اسرائيل، وللمرة الاولى منذ قيامها في العام 1948، هي حرب وجودية مصيرية تحتاج فيها الى انتصار واضح هو القضاء على حماس، واذا لم يتحقق هذا الانتصار فان اسرائيل ستكون مهددة في وجودها ومستقبلها، لان الاسرائيليين ومعظمهم من حاملي الجنسيات المزدوجة متأهبون للرحيل والمغادرة والعودة الى "اوطانهم الاساسية والبديلة" اذا ترسخت لديهم

> **سيناريوهات في حرب اوكرانيا وعامل الوقت يلعب في مصلحة روسيا**

قناعة بان دولة اسرائيل باتت غير امنة وغير مستقرة، وان جيش اسرائيل ليس قادرا على حمايتهم وجبه الاخطار التي تطوقها من كل الجهات.

وايا تكن الخلافات والانقسامات بين اسرائيل والولايات المتحدة حول الحرب وطريقة ادارتها وكيفية الخروج منها واليوم التالي. الواضح والثابت ان هناك اتفاقا اميركيا اسرائيليا على عدم توقف الحرب وعلى استمرارها الى ان تحقق هدفها الاهم، وهو القضاء على حماس. وهذا الهدف مشترك، والاميركيون على قناعة راسخة بان لا مكان بعد اليوم لـ"حماس" في غزة، ولا دور ومكان لها في المفاوضات السياسية وفي التسوية المدرجة تحت عنوان "حل الدولتين". وفي النتيجة، فان الحرب الدائرة في غزة هي حرب اسرائيلية ـ اميركية مشتركة، والولايات المتحدة شريكة في هذه الحرب ونزلت بكل ثقلها فيها، بالمال والسلاح والديبلوماسية.

ما يزعج الاميركيين ويقلقهم في هذه الحرب، ويشكل سببا للخلاف بينهم وبين اسرائيل، يكمن من جهة في طغيان الحسابات والمصالح السياسية والشخصية عند نتنياهو، ويكمن من جهة ثانية في طريقة ادارة اسرائيل لهذه الحرب على المستويين العسكري والسياسي. فهذه الحرب لم تضرب فقط صورة اسرائيل في العالم كدولة ديموقراطية وراعية لحقوق الانسان بعدما ضربت صورتها كدولة قوية وجيش لا يقهر، وانما ضربت ايضا صورة الولايات المتحدة ومكانتها الدولية وتسببت لها باحراجات مع دول عربية واسلامية حليفة لانها شريكة في هذه الحرب التي لا تتوقف، اما عن عدم قدرة اميركية او عدم ارادة سياسية. ولذلك، فان كل التركيز الاميركي منصب حاليا على عدم توسع الحرب وعدم انتقالها الى خارج غزة، وعلى نقل الحرب في غزة الى المرحلة الثالثة التي تعني خفض حجم العمليات العسكرية التي تصيب المدنيين، وتغليب العمليات الامنية التي تطارد حماس وتحاصرها، على ان يكون ذلك مقرونا بفتح افق سياسي للحرب ورسم مسار لمرحلة ما بعد الحرب. وهذا ما حاوله وزير الخارجية الاميركي انطوني بلينكن في جولته الحالية بالترويج لمسار يقوم على عنصرين: تمكين اقامة دولة فلسطينية، واندماج اسرائيل اكثر في محيطها العربي.

البحث عن افق سياسي للفلسطينيين في حاجة الى ثلاثة اطراف، الاسرائيلي والفلسطيني والوسيط الاميركي، ليس هناك اي منها في حالة مناسبة لكي يلعب الدور المنوط به. لذلك التشاؤم سيد الموقف، كما التخوف من توسع رقعة الحرب بحيث تستمر في غزة لاسابيع واسابيع مقبلة، وان تنتقل ايضا الى الضفة الغربية، حيث التوتر بلغ اوجه. والخطر يبقى قائما في جنوب لبنان، اولا لان اسرائيل لا تطيع اميركا في كل الحالات، وثانيا لان المناوشات الجارية ◄

في لبنان يوميا قد تتجاوز رغبة الطرفين بابقاء النار هادئة او بابقاء النار تحت السيطرة وقد يحصل سوء تفاهم او سوء تفسير، ويتم تجاوز الخطوط الحمر لقواعد الاشتباك التي تم التوصل اليها.

هناك حرب ثالثة تؤرق العالم وتقض مضاجعه، وهي الحرب المندلعة في مياه البحر الاحمر وعلى ضفته اليمنية. صحيح ان هذه الحرب منبثقة من حرب غزة وتعد امتدادا وفرعا لها، لكنها حرب ابعد واعمق من حرب غزة، وتتصل بالصراع الاميركي ـ الايراني في المنطقة. هذا الصراع المتمركز في العراق والمتمدد الى المضائق المائية والممرات البحرية الاستراتيجية.

من الواضح ان ايران تلعب ورقة استراتيجية كبيرة بفرضها تهديدا عسكريا مباشرا للملاحة الدولية في البحر الاحمر الذي تمر عبره 12% من حركة التجارة العالمية المحمولة بحرا، من حيث الحجم، ونحو 30% من حركة الحاويات العالمية. حجم الورقة الاستراتيجية التي تستخدمها ايران اكبر من ان يوضع في سياق دعم حماس، وليس ادل على ذلك من ان نطاق الاستهدافات للسفن التجارية وناقلات النفط اوسع بكثير من النطاق العملياتي المعلن من جانب الحوثيين. والاكثر دلالة هو اتساع النطاق الجغرافي للهجمات، وهو ما يشي بان الرسالة الايرانية الموجهة للاميركيين مفادها انها قادرة على تعطيل الملاحة من بحر العرب الى البحر الاحمر بصواريخ يصل مداها الى 800 كيلومتر، تماما كما ارسلت من قبل رسائل تبين قدرتها على تعطيل الملاحة في مضيق هرمز.

واما الاحتمالات والمسارات العسكرية والدبلوماسية في المرحلة المقبلة، فانها موزعة بين:

-1 تصاعد المواجهات العسكرية والدخول في دينامية الفعل ورد الفعل وتدحرج كرة النار، مع تأكيد الحوثيين على انهم سيردون على الهجمات وسيدفعون اميركا وبريطانيا ثمنا باهظا، ومع تاكيد الرئيس بايدن انه لن يتردد في الايعاز بشن ضربات جديدة اذا دعت الحاجة واستمر الحوثيون في

> **"ام الحروب" في غزة وحل الدولتين عنوان مرحلة ما بعد الحرب**

هجماتهم. وهذا التصعيد العسكري يطرح مسالة استدراج او اجتذاب ايران التي تلعب حتى الان بعيدا عن جبهة الحرب الساخنة، وتراهن على صيغ المعادلات والتوازنات بينها وبين الولايات المتحدة، وتحافظ على حالة معينة من الشد والجذب لا تنزلق الى الانخراط في صراع مباشر.

-2 التحول الاميركي الى نوع اخر من العمليات العسكرية "الميدانية"، من النوع الذي يوجه ضربات موجعة للحوثيين مثل هجوم العام 2018 على مدينة الحديدة وميناءها، عبر مشاركة اميركية في الجو وتحرك اليمنيين المدعومين من السعودية والامارات على الارض. لكن الظروف اليوم مختلفة عما كانت عليه من قبل، بعدما قررت السعودية وقف حربها مع الحوثيين وابرام اتفاق مع ايران، وهي لا تريد العودة الى الوراء، خصوصا وان ثقتها بالاميركيين مضروبة.

-3 تعزيز التحالف الدولي واسمه "حارس الازدهار" وتوسيع عملياته لتشمل مواكبة السفن في المنطقة الواقعة بين خليج عدن والقسم الجنوبي من البحر الاحمر، وذلك يتطلب عددا كبيرا من السفن الحربية المزودة بانظمة دفاع جوي متقدمة.

المشكلة هنا ان هذا التحالف محدود الحجم والقدرات بعدما قاطعته او ترددت في الانضمام اليه الدول الاوروبية الاساسية (فرنسا ـ المانيا ـ اسبانيا ـ ايطاليا) والدول العربية الاساسية خصوصا المعنية بأمن البحر الاحمر مثل السعودية ومصر.

وهذا الاحجام الاوروبي والعربي له علاقة بازمة الثقة بادارة بايدن وسياستها الملتبسة المتذبذبة مع ايران، المتأرجحة بين مواجهات فوق الطاولة ومفاوضات وتفاهم مع ايران. وايضا تعاطيها مع الحوثيين بعدما كان اول ما فعلته هذه الادارة بعد وصول بايدن الى البيت الابيض رفع اسم الحوثيين عن لائحة الارهاب وتمكينهم من السيطرة على الحديدة والاطلالة من هناك على باب المندب وامن البحر الاحمر. وليس هناك

ثقة اوروبية بان بايدن سيتابع ما بداه من حرب على الحوثيين، خصوصا وانه في سنة انتخابات، وليس هناك من ثقة عربية خليجية بان واشنطن ذاهبة في المواجهة مع ايران الى النهاية، او ذاهبة الى التخلي عن ورقة الحوثيين وحرقها وتوجيه ضربة عنيفة لهم، لا بل ليست في وارد تمزيق هذه الورقة التي تغازل بها ايران من جهة، وتهدد بها دول المنطقة من جهة ثانية.

الحروب الثلاثة التي تشغل العالم هذا العام وتؤجج الصراعات والمصالح المتضاربة، يمكن اضافة حرب رابعة اليها، هي حرب السباق الى البيت الابيض مع بدء العد العكسي لمعركة الرئاسة الاميركية التي يمكن ان تكون نسخة منقحة عن انتخابات العام 2020، وتدور بين الرئيس السابق دونالد ترامب والرئيس الحالي جو بايدن. هذه الحروب ستؤثر في مساراتها ونتائجها على الانتخابات الاميركية، كما ان الحسابات الانتخابية ستكون مؤثرة جدا على القرارات السياسية التي ستتخذها ادارة بايدن في الاشهر المقبلة. يواجه الرئيس الاميركي امتحانا جديدا وصعبا في الشرق الاوسط عشية انطلاق معركة الرئاسة الاميركية. ووجدت واشنطن نفسها امام حرب معقدة تمثل عبئا استراتيجيا عليها. كما وجد بايدن نفسه امام وضع داخلي غير مستقر، وارتفعت اصوات داعية الى عدم اعطاء بايدن فرصة وولاية رئاسية ثانية، بسبب سياساته الضعيفة التي اخرجته من افغانستان واعادته قسرا الى الشرق الاوسط، وبسبب تراجع الاقتصاد الاميركي، والدعم النازف لاوكرانيا واسرائيل، وايضا بسبب عامل العمر وتقدمه في السن.

اما الرئيس السابق دونالد ترامب المنطلق بقوة في السباق الرئاسي، فان عودته الى البيت الابيض تتوقف على ثلاثة عوامل توحي كلها بعودته وفوزه: الاول يتعلق برغبته الشخصية في المنصب من جديد، وربما الانتقام لهزيمته في الانتخابات الاخيرة. والثاني يرتبط بغياب اي منافسة جادة او وجود تحديات كبيرة امامه بين الجمهوريين الطامحين لخوض انتخابات عام 2024. ولا توجد اي قيادة جمهورية تقترب شعبيتها من شعبية ترامب. والثالث يتعلق بالتراجع في شعبية الرئيس جو بايدن، ووصول نسبة الرضا عن سياساته الى ما دون 50 في المئة. وتعد هذه النسبة شديدة السوء لرئيس خلال ولايته الاولى في البيت الابيض.

> **تندرج حرب البحر الاحمر في اطار الصراع الاميركي والايراني على المنطقة**

الاميركيون الداخلون في سنة الانتخابات تقلقهم حرب غزة، ويدركون خطورة الوضع وضرورة البحث عن "استراتيجية خروج" من الان. الخروج من المأزق الحالي باقل الخسائر وبطريقة تنهي الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، وربما مرة واحدة الى الابد. لذلك بدا الاميركيون يرسمون افقا سياسيا لهذه الحرب ويتحدثون بقوة عن "حل الدولتين" لطمأنة الحلفاء العرب، ولتقوية تيار الاعتدال وعزل تيار التطرف الذي تمثله حركة حماس الرافضة لحل الدولتين ولوجود اسرائيل.

ومن الواضح ان حرب غزة التي وضعت حدا لمرحلة الانسحاب الاميركي من الشرق الاوسط، وفرضت عودة عسكرية عاجلة، ستفرض عاجلا ام اجلا عودة سياسية هائلة لجهود انهاء الصراع والقضية الفلسطينية على اساس "حل الدولتين"... ولكن هذا التوجه الاميركي ان وجد لا يستند الى اساس ولا يشق طريقه على ارض الواقع لثلاثة اسباب على الاقل: الضعف اللاحق بالسلطة الفلسطينية التي صارت الحلقة الاضعف ولم تعد قادرة على قيادة الوضع الفلسطيني، ولا على العودة الى قطاع غزة اذا بقي هناك من قطاع. والاهم من ذلك، ان اسرائيل لديها مخطط اخر في غزة لتدميرها وتهجيرها واقامة سلطة امنية جديدة تحت ادارة اقليمية واستحداث واقع جيوسياسي جديد في المنطقة. وهذا المخطط يتعارض كليا مع حل الدولتين وينسفه من اساسه. والسبب الثالث والاهم، هو دخول الولايات المتحدة في فلك وحسابات الانتخابات الرئاسية، وكل شيء من الان فصاعدا في واشنطن سيكون مفصلا على قياسها، حسابات وسياسات، مبادرات و"هندسات" خارجية.